ISSN: 2750-6142

المجلد 2، العدد 4، 2023
Vol: 2 / N°: 4 (2023)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

Arabic Translation Work:

Barbara Casciarri
Sociotechnical Systems, Local Knowledge, and Intervention Ideologies: Two Examples of Water Management Practices among Pastoralists in Morocco and Sudan[1]

Ismail Ait Bassou[2] & Oumayma Aghzere[3] (Translators)
[1]Mohammed V University, Rabat. Morocco
[2]Laval University, Quebec. Canada
Email 1 : ismail.aitbassou@um5r.ac.ma
Email 2 : aghzere.oumayma@gmail.com

Received	Accepted	Published
10/5/2023	29/6/2023	30/7/2023

DOI: 10.17613/hnmh-a971

Cite this article as : Casciarri, B. (2023). Sociotechnical Systems, Local Knowledge, and Intervention Ideologies: Two Examples of Water Management Practices among Pastoralists in Morocco and Sudan, (I, Ait bassou & O, Aghzere, Trans.) . *Arabic Journal for Translation Studies, 2*(4), 105-127.

Abstract

Among pastoralists, spatial mobility in ecological environments with high seasonal variations gives a relatively simple image of the types of use for water resources. Nevertheless, the apparent morphological and technical simplicity of water infrastructures in pastoral environment conceals complex socio-political systems, a long-term construction of knowledge and an elaborate management of relational practices (solidarity, negotiation, conflict) within the group, with neighboring groups, and with the State. Based on two African ethnographies (Sudan and Morocco) the article establishes a link between the socio-technical complexity of local water management and the hold that external actors (mainly the State) have over it, the latter's discourse often having drawn attention to how nomadic pastoralists are underequipped and ecologically irrational in order to advocate a "technical" intervention linked to ideologies of struggle against tribalism and forced sedentarization.

Keywords: Pastoralism, Nomads Wells, Ecological Irrationality, State Water Policy, Sedentarization, Detribalization

© 2023, Ait Bassou & Aghzere, licensee Democratic Arab Center. This Translated Paper is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

[1]Casciarri, B. (2013). Systèmes sociotechniques, savoirs locaux et idéologies de l'intervention. Deux exemples de gestion de l'eau chez les pasteurs du Soudan et du Maroc. *Autrepart*, 65, 169-190. https://doi.org/10.3917/autr.065.0169

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

المجلد 2، العدد 4، 2023
Vol: 2 / N°: 4 (2023)

ISSN: 2750-6142

عمل مترجَم:

باربرا كاسياري

الأنظمة السوسيوتقنية، المعارف المحلية و إيديولوجيات التدخل:
مثالان لممارسات تدبير الماء لدى الرعاة في السودان والمغرب

إسماعيل أيت باسو[1] وأميمة أغزر[2] (المترجِمان)

[1] جامعة محمد الخامس، الرباط. المغرب

[2] جامعة لافال، كيبك. كندا

الايميل 1: ismail.aitbassou@um5r.ac.ma

الايميل 2: aghzere.oumayma@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023/5/10	2023/6/29	2023/7/30

DOI: 10.17613/hnmh-a971

للاقتباس: كاسياري، ب. (2023). الأنظمة السوسيوتقنية، المعارف المحلية وإيديولوجيات التدخل: مثالان لممارسات تدبير الماء لدى الرعاة في السودان والمغرب، (ترجمة إسماعيل أيت باسو وأميمة أغزر). *المجلة العربية لعلم الترجمة*، *2*(4)، 105-127.

ملخص

تعطي الحركية المجالية في الأوساط البيئية ذات الاختلافات الموسمية القوية، صورة بسيطة نسبيا لأنواع استخدام الموارد المائية بين الرعاة. ومع ذلك فإن الأشكال البسيطة والتقنية الواضحة للبنيات التحتية للمياه في الأوساط الرعوية، تخفي أنظمة اجتماعية وسياسية معقدة، وبناء طويل للمعرفة وتدبير متقن للممارسات العلائقية (التضامن، التفاوض، الصراع) داخل المجموعة؛ وأيضا مع المجموعات المجاورة والدولة. وذلك بناء على دراستين إثنوغرافيتين في إفريقيا (السودان والمغرب)، إذ يؤسس المقال رابطاً بين التعقيد السوسيوتقني لتدبير المياه المحلية والموقف الذي تمارسه الجهات الفاعلة الخارجية عليها (خاصةً الدولة)، والتي غالبا ما يكون خطابها يثير الإنتباه إلى أن الرعاة الرحل يفتقدون للتجهيزات اللازمة، وغير عقلانيين بيئياً؛ بهدف الدعوة إلى التدخل "التقني" المرتبط بإيديولوجيات النضال ضد القبلية والتوطين القسري.

الكلمات المفتاحية: الرعي، أبار الرحل، اللاعقلانية البيئية، السياسة المائية للدولة، الاستقرار، انحلال نظام القبيلة

©2023، آيت باسو وأغزر، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشر هذا النص المترجَم وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 2، العدد 4، 2023
Vol: 2 / N°: 4 (2023)
ISSN: 2750-6142

مقدمة المترجمين

إن موضوع الماء في المجالات القروية والواحية على وجه الخصوص، لطالما حضي باهتمام من طرف الباحثين في العلوم الاجتماعية، للكشف عن الرهانات التي تنطوي عليها أنماط الملكية الجماعية لهذا العنصر الحيوي، ودوره في سيرورة التحالفات بين القبائل لمواجهة مد الخبراء في تحديث الأنظمة الهيدروليكية. مما يكشف عن توجهين مختلفين: توجه تقليدي يستمد حضوره الضارب في التاريخ يتأسس على الأعراف القبلية في توزيع حصص الماء بين أعضاء القبيلة وفق شروط جينالوجية وحقوق أصحاب الأرض، والحد من فرص اندماج الرعاة والرحل في الجماعة. أما التوجه الثاني الذي ظهر خلال المرحلة الاستعمارية وما بعد الاستقلال، متمثلا في السعي نحو تحديث تقنيات تدبير الماء داخل مجالات تتسم بتوالي سنوات الجفاف وندرة الماء، وتكشف عن صراع بين قوى مختلفة، للدفع نحو الإنتقال من الماء الجماعي إلى الماء الفردي.

فالتداخل بين ثالوث المعرفة، السلطة، والتقنية؛ هو ما حاولت باربرا كاسياري تفكيكه داخل مجالات الرحل في كل من المغرب والسودان وفق مقاربة أنثروبولوجية، لإعادة الاعتبار لهذه الفئة وتطوير أسس البحث في الأشكال السوسيوتقنية لإمداد الرعاة بالماء. هذه المقارنة بين مجالين مختلفين أضفت تصورا شاملا للاندماج الاجتماعي للرحل، وديناميات ثقل الدول الاستعمارية في مواجهتها المباشرة وغير المباشرة معهم؛ إلا أن عدم الاعتراف - بدرجات متفاوتة - بالممارسات الرعوية، ظل العنوان الأبرز لسيرورة تفاعل مؤسسات الدولة مع قضايا اندماج الرعاة داخل المجتمع.

إن هذه الدراسة تدفعنا نحو التفكير في إشكالات التغيرات المناخية والتحديات الطبيعية التي تواجه المجالات الواحية، واستراتيجيات مقاومة الرحل والرعاة لندرة الماء، ضمن سياقات لم تسلم من التغير السوسيواقتصادي والسياسي والثقافي بعد مرور أكثر من عشرين سنة على البحث الميداني في هذه المناطق. الشيء الذي يظهر الحاجة الملحة للأنثروبولوجيا التطبيقية في دراسة وفهم ديناميات المعيش اليومي، مع الأخذ بعين الاعتبار أهمية المعرفة المحلية في المشاريع التنموية الموجهة لهذه المناطق.

مقدمة

إن الهدف الأول من هذا المقال هو تحليل التداخل بين التقنيات المعرفية وعلاقات السلطة في تدبير الموارد المائية داخل أوساط الرحل، بناء على مقاربة أنثروبولوجية للماء تهدف إلى الكشف عن أشكال اندماجها الاجتماعي (Mosse, 2008). للقيام بذلك، سأعتمد على معطيات مستمدة من دراستين ميدانيتين مع مجموعات رعوية من وسط السودان والجنوب الشرقي المغربي[2]. أما الهدف الثاني فهو ربط الملاحظات المستمدة من هذه الدراسات الإثنوغرافية بالآثار الإيديولوجية المرتبطة بضعف الاهتمام بالأشكال السوسيوتقنية لإمداد الرعاة بالماء، مقارنة بأنظمة السقي من طرف جيرانهم الفلاحين. ويتجلى هذا الاهتمام في سياق عدم فهم وتهميش هذه المجموعات المشتركة لدى المتدخلين الكولونياليين وما بعد الكولونياليين.

[2] تم جمع المعطيات المتعلقة بالسودان خلال الدرسات الميدانية التي قمت بإجرائها مع المجموعات الناطقة بالعربية في البلد، ولا سيما الأحمدية (1989-1995؛ 2006-2011)، وتلك الخاصة بالمغرب من خلال دراسة ميدانية للرعاة الناطقين باللغة الأمازيغية أيت أونزار (2000-2005).

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 2، العدد 4، 2023
Vol: 2 / N°: 4 (2023)
ISSN: 2750-6142

بعد الوصف العام لأنماط استغلال الماء لدى الرعاة، سنذكّر بالأسس التي وجهت فعل التدخلات "الخارجية" تجاههم، وذلك للمرور نحو تقديم دراسة إثنوغرافية لحالتين؛ والخلاصة هي أنه على الرغم من الفوارق الميدانية لثالوث: المعرفة، السلطة، التقنية.فإن الالتقاء بين عدم الوضوح واستدامة الأشكال السوسيوتقنية لوصول الرعاة إلى الماء، ومن جهة أخرى " الإنكار" و " القرب من الطبيعة "[3] لهذه المجموعات داخل مقاربات الفاعلين الخارجيين، تكشف عن سبل التفكير في القيمة السياسية لعلاقة: الماء/ المجتمع.

بعيدا عن كل نية في اقتراح تطورات ممكنة لأنظمة الري الرعوية لنتحد مع زمرة أولئك الذين يأسفون لعدم فعالية، أو عدم إيلاء الاعتبار الكافي لـ"العامل الإنساني" وتدخلاته، يحاول هذا المقال تفكيك الرهانات الغير معلنة في بناء صورة للراعي البدوي المتعطش داخل بيئة تتسم بندرة الماء، وعبر استعمالاته الغير المعقلنة. علاوة على ذلك يؤكد بشدة على تضارب المصالح بين معارف الرعاة والتكنوقراطيين، سواء من الدولة أو خارجها، والذين وضعوا نصب أعينهم مهمة "إنقاذهم" من ندرة الماء لـ"تحديثه" في الوقت ذاته.

أولا: استخدامات الرعاة للماء: مفارقة "مركزية غير مرئية"

يبدو أن إحدى الملاحظات التي تحضى باجماع واسع بين أولئك الذين اهتموا بالمجتمعات الرعوية، سواء كانت تتعلق بالبحوث في العلوم الاجتماعية أو الدراسات التي تستهدف التدخل التطبيقي والخبرة " التقنية ": ألا وهي مركزية الماء في وجود وإعادة إنتاج هذا النمط من الحياة، الذي يتميز بالتنقل المادي للرجال والمواشي وكذا الحاجة إلى الاستعمال المتوازن للموارد المائية والرعوية، وكلاهما يخضع لتقلبات موسمية كبيرة. ومع ذلك، فإنه من الواضح أن ثراء وتنوع الدراسات الأنثروبولوجية التي تضع إشكالية الماء لدى الفلاحين في قلب تحليلاتها، لا تتوافق مع تطور مماثل للاشتغال في المجتمعات الرعوية. والواقع أن اللقاء الفاشل بين "علماء أنثروبولوجيا الماء" و "علماء أنثروبولوجيا الشعوب الرعوية" - وكلاهما لديه تقليد غني -[4]، جعلني أتساءل منذ " انتقالي " من الأنثروبولوجيا الرعوية إلى أنثروبولوجيا الماء. هذا السؤال هو أصل التفكير الذي أحاول تطويره في هذا المقال.

1.1 البساطة وعدم الاستدامة الظاهرة لتقنيات تدبير الموارد المائية الرعوية

تقودنا دراسة المجتمعات الرعوية إلى أن ما تفتقر إليه هو نظام السقي، وذلك من وجهة نظر البحث عن أسباب غياب الدراسات الأنثروبولوجية التي أسست تحليلا شاملا للاجتماعي بداية من إشكالية الماء. وكما يظهر العديد من الباحثين في حالات متباينة [5]، فإن جميع أنظمة السقي التقليدية لديها القدرة على إظهار حضورها في أوساط المجتمع المحلي على عدة

[3] سيتم توضيح معنى هاتين الكلمتين الجديدتين من خلال الحجج التالية، دعنا نقول بشكل تركيبي أن الكلمة الأولى تشير إلى العمليات الأيديولوجية التي تجعل من الممكن محو أو إنكار ظهور الرعاة. أما الكلمة الثانية تشير إلى الديناميات المماثلة التي تقدم هذه المجموعات على أنها قريبة أكثر من الطبيعة والقيود البيئية.

[4] على الرغم من أن معظم الدراسات المونوغرافية عن الرعاة منذ "الكلاسيكيات العظيمة (Evans-Pritchard 1940) "، خصصت أجزاء لوصف استخدامات الماء في هذه المجموعات، ولا يعتبر الماء وطرق تدبيره محورا مركزيا للتحليل الاجتماعي في أي من هذه النصوص.

[5] للإشارة إلى أحدثها وأهميتها أنظر:

مستويات، واضحة ومستدامة، معقدة في حيثياتها، وملخصة لآثار التاريخ التي تكاد تجعله أرشيفا(Aubriot, 2000, p. 21) . هذه "المرآة" التي هي نظام السقي بالنسبة للمجتمع، والتي غالبا ما تجلب السعادة للأنثروبولوجي في بحثه عن الخطوط المتداخلة بين ثنائية: الماء / المجتمع، ليست حاضرة بين الجماعات الرعوية، حتى عندما تكون هناك أشكال من الزراعة البعلية لدعم الثروة الحيوانية؛ وربما في ظل هذا الغياب يجب أن نبحث عن الأسباب الأولى لقلة الدراسات حول سياسات تدبير الموارد المائية الرعوية[6].

لكن عدم وجود نظام السقي ليس سببا كافيا على الأقل بالنسبة للباحث أنثروبولوجي، لتجاهل الاهتمام بالاستخدامات الاجتماعية للماء لدى الرعاة. ومنه فإن الوصف الموجز للطرق التي تنظم الوصول إلى الماء في البيئات الرعوية يمكن أن يساعد أولا في فهم أسباب "عدم وضوحها"، وثانيا في متابعة البحث عن تداخل ثنائية الماء/المجتمع، ووضعها في مستوى سياسي واجتماعي أكثر صرامة. ويمكن تصنيف "أنواع الماء" التي يستخدمها الرعاة من خلال تعريف لا يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات المحلية إلى ثلاث فئات:

1- هناك استغلال للمياه الجارية المرتبطة بهطول الأمطار، أو الوديان المؤقتة، أو المجاري المائية الدائمة - وهذه الأخيرة تقع عموما على الهامش أو خارج الأراضي الرعوية بالمعنى السياسي للكلمة؛

2- هناك أشكال مختلفة من التخطيط المعقد إلى حد ما لأحواض تخزين مياه الأمطار، والتي يتم استخدامها بعد موسم الأمطار؛

3- يتم حفر الآبار المستمدة من المياه الجوفية، والتي تتفاوت في العمق والتعقيد عبر تجهيزها وفقا لموقع المراعي.

تتعلق إذن الملاحظة الأولى بالخصائص الموسمية لبعض "مصادر الماء" المرتبطة تغيرات هطول الأمطارفي السنة وبين السنة والأخرى Intra et Interannuelles. بينما يجعل التنقل المجالي للرجال وقطعان الماشية والتغير الزمني للموارد المائية، التخلي بشكل مؤقت، أو بشكل دائم عن معظم مصادر الماء ممكنا. وبالتالي فإن ملاحظة تداخل ثنائية الماء/ المجتمع ، يجب أن تتم عن طريق الملاحظة المباشرة وفي الوقت الحاضر؛ لأن النظام الاجتماعي المائي لا يخلف آثارا دائمة. يضاف إلى ذلك "الرصانة التقنية" المعينة لمصادر الماء الرعوية، وغالبا ما تكون الأدوات اللازمة وبنيتها التحتية ضئيلة لتنفيذها، مما يصعب من مهمة المراقب الخارجي في تصورها وملاحظتها، خاصة الآبار الرعوية العميقة التي تعد استثناءً.

وتعتبر البنيات المتراكبة وأنظمة الأنابيب وأحواض الري من العلامات النادرة لوضوح واستدامة البنيات التحتية التي تفتقر إلى الأشكال الأخرى للوصول إلى المياه الرعوية، حتى لو كان شكلها عمودي، فإنها لاتمتلك "الفصاحة الاجتماعية"

Népal (Aubriot, 2004), Inde [Mosse, 2003], Oman (Le Cour Grandmaison, 1984), Madagascar (Hall, 2008) Tunisie (Bédoucha, 1987), Maroc (Riaux, 2006), Portugal (Wateau, 2002), Andes (Trawick, 2003).

[6] أعني بهذا الكل السوسيوتقني كما يتصوره الأنثروبولوجيون (بما في ذلك المادة والأشياء والإيماءات والتمثلات)، والطابع النظامي ونظم تدبير الموارد المائية موجود على الرغم من الافتقار إلى السقي. أستعمل تعبير "الهيدروليكا الرعوية" للإشارة إلى "[...] سياسة مضاعفة مصادر الماء وتحديث الري" (Baroin, 2003, p. 205) أقيمت في المناطق الرعوية منذ عهد الاستعمار.

للمسارات الشبكية لأنظمة السقي بسبب نقشها المكاني؛ وبالتالي أفقية البنية التحتية في المساحة المزروعة. ولاستكمال عرض الجوانب التي تساهم في تقليل الحضور المادي، الواضح والدائم - علامات تسمح بفهم دمجها في المجتمع (Aubriot, 2013) – لمصادر الماء الرعوية، إذ يجب أن نشير إلى التكرار المرتبط بوضعها القانوني. بينما في المجتمعات الفلاحية يمكن توزيع حصص الماء في النظام السقوي بشكل مكتوب (سجلات أبراج المياه، قوائم ذوي الحقوق، تدوين وحدات القياس والحساب)، وهيمنة أنظمة الملكية الجماعية والإشارة إلى "القانون العرفي" للموارد المائية في الأوساط الرعوية (Dahl, Megerssa, 1990)، والذي يؤكد لاحقا الخفاء الواضح للتعقيد السوسيوتقني المتعلق بالماء، وأيضا بالنسبة للمجموعات التي لا يوجد فيها نقص في تقنيات الكتابة [7].

2.1 التعقيد الخفي: من المعارف التقنية إلى المعارف الاجتماعية والسياسية

ألن يكون محو تقنيات استخدام الماء أكثر وضوحا من كونه حقيقيا؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هي الرؤية التي يجب اتباعها للكشف عن التداخل بين الماء والمجتمع؟ إن الغموض المفترض لثقافة الرحل في الواقع هو موضوع تساؤل أيضا لدى علماء الآثار والإثنوغرافيا (Cribb, 1991, p.268)، ومتنازع عليه بالتوازي مع استئناف نقدي للمقاربات الرعوية للرحل من قبل الباحثين الذين اختاروا وضع التكنولوجيا في عمق تحليلهم لمجموعات الرعاة المتنقلين؛ باعتبارها "[...] إحدى الزوايا المحتملة للهجوم على الواقع الاجتماعي العام" (Digard,1981, p. 8). وكانت لهذه المقاربات ميزة تقويض بعض الأحكام المسبقة على الرعاة – من قبيل تلك المتعلقة بتأثيرهم الضعيف، أو غير الموجود على العوامل «الطبيعية» من خلال فك رموز أنظمتهم التقنية الأقل وضوحا من تلك الخاصة بالمستقرين؛ وتجبرنا على قراءتها بشكل وثيق مع الأشكال الأوسع لتنظيمهم الاجتماعي وممارساتهم الطقوسية (Bonte, 1993). فمن خلال الانضمام إلى هذه القراءة الأنثروبولوجية لـ "الحقيقة التقنية" في تحديد خصائصها على أنها "حقيقة اجتماعية كاملة"، نعتقد أنه في حالة التقنيات الهيدروليكية في سياق رعوي، وفي غياب هذا النموذج الأصلي من التداخل بين الماء/المجتمع باعتباره نظام السقي؛ فإن النصيب الاجتماعي (غير المادي غالبا) في المركب والاجتماعي والتقني ضروري كمفتاح للقراءة والفهم. وسنركز بعد ذلك على جميع المعارف المتعلقة باستخدامات المياه الرعوية، والتي ترتبط بأساليب التنظيم الاجتماعي والسياسي التي تشكل نقطة المواجهة مع المعارف السائدة للمتدخلين الخارجيين.

إن تحديد« أماكن الماء» هو السؤال الأساسي الأول، وذلك بالنظر للخصوصية الإيكولوجية (موارد مشتتة مع تغير موسمي قوي) يقترن بسيولة التحكم في مجال (Bernus, 1989) خاضع لإعادة تفاوض مستمر للاستيلاء أكثر على الأراضي السياسية(Rao, 1992). وهكذا فإن اللقاء في هذا المستوى الأولي بين المعارف المحلية بالنظام الإيكولوجي[8]، وتلك الخاصة بالعلاقات بين المجموعات التي يحكمها جدوى الاستغلال الملموس للموارد.

[7] ينتمي معظم الرحل الذين نشير إليهم إلى منطقة ثقافية مسلمة حيث تتقن المجموعات ذات الوظائف الدينية الموجودة في التنظيم الاجتماعي السياسي والمحلي الكتابة، كما يتضح من استخدامها في كتابة الأنساب القبلية، وتعليم القرآن أو الممارسات العلاجية.

[8] يجب أن تكون الهيدروغرافيا المحلية معروفة بإقامة المعسكرات أو تطوير أحواض تخزين المياه. وبالمثل يمكن الافتراض أن المعارف المتعلقة بالنباتات والجيولوجيا تُستخدم لتحديد موقع حفر الآبار، على الرغم من إعادة قراءتهم لاحقًا، غالبًا ما يستحضر الفاعلون ممارسات العرافة من قبل الجماعات ذات المكانة الدينية.

ISSN: 2750-6142
المجلد 2، العدد 4، 2023
Vol: 2 / N°: 4 (2023)
المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

وتلعب " المعرفة المحلية" دورا حاسما لتحقيق هذا الأخير، ضمن سياق تتداخل فيه تنقل الحدود المجالية، وانسيابية الحدود العرقية والقبلية، وديناميات الأبوة والانتماءات والانقسامات والاندماجات. باختصار فإن حصر خطوط التضامن والصراع مع تعديلاتها تؤسس كُلاً Un Ensemble يجب على الراعي إتقانه بشكل فردي وجماعي، من قبيل معرفة العلاقات السياسية التي تشكل دعما لاستغلال الماء. وفي هذا الصدد تشمل المعارف (الشفوية) حول علاقات النسب أو الزواج[9] أيضا محورا تقنيا عبر أشكال تعلمها ونقلها وتحديثها، حيث ستكون لها وظيفة مشابهة تقريبا لتلك التي تؤديها في أنظمة السقي، من خلال الوثائق المكتوبة التي تحدد طرق تقاسم وتوزيع الماء، أو التسجيل المادي لمسارات القنوات والأراضي. ويشكل تشابك المعايير والممارسات القانونية التي تحكم تَمَلُّكْ الماء، وفقا للتعددية القانونية التي يشكل فيها القانون الإيجابي والعرفي والديني، جانباً أخر من جوانب المعارف المحلية، وأساسي لتنفيذ تقنيات تدبير الموارد المائية[10].

يعتبر حفر الأبار أو تجهيز مصادر مائية أخرى في الأوساط الرعوية من القضايا والرهانات الإقليمية والسياسية في الأساس، حيث وضعت المجموعات سياسة دقيقة لتَمَلُّكْ الماء، مما يجعل المورد la ressource تعبيرا عن وساطتهم المستمرة في سيرورة الاندماج / الاقصاء بين الجماعات العرقية والقبلية (Schlee, 2013). وفي هذا السياق يعد البئر أحيانا« [...] أداة للسيطرة ووسيلة للتماسك الاجتماعي» (Diallo,1999, p. 378) . علاوة على ذلك تعد مصادر الماء أو الأحواض الموسمية أو الآبار الدائمة مواقع لتبادل المعرفة والتفاوض بشأنها وتحديثها، وبدون عمليات التواصل هذه سيكون اشتغال النظام غير مفهوم ويصعب تدبيره،؛ إذ يتطلب في الواقع مجموعة من الخصائص الضرورية لتحليل طرق وصول الرعاة إلى الماء .

هذه المعارف تلعب دور مجموع العلاقات المعقدة والمتغيرة داخل المجموعة، مع الرعاة الآخرين، مع الأشخاص المستقرين، ومع الدولة. وبالتالي لايمكن فهم التداخل بين الماء/المجتمع المبحوث عنه من طرف الأنثروبولوجي، إلا من خلال الملاحظة المعمقة لتركيبات النظام السياسي المحلي؛ والذي يتم تعريفه غالبا من حيث« البراد يغم القبلي» [11]. ويعمل هذا الأخير باعتباره "المشاعات الاجتماعية والسياسية Sociopolitical Commons" (Casciarri, 2009a.) الملموسة، أكثر من«المنافع العامة » المخصصة كمورد مادي، ولكنها مركزية أيضا لفهم جزء من المجتمع في التركيبة الاجتماعية والتقنية التي تمكن الرعاة من الوصول إلى الماء واستغلاله.

---

[9] في هذا الصدد من المهم أن تطلب المجموعات الموجودة في المكان أثناء عمليات السقي، أولئك الذين لا يأتون عادة إلى هناك لتحديد مواقعهم في شبكات الأنساب هذه أو الإشارة إلى علاقات التحالف التي يمكن أن تبرر الوصول في حالة عدم وجود علاقة أبوة وثيقة في الأنساب.

[10] التعددية القانونية وأهمية القانون العرفي التي تميز المجتمعات القروية في المنطقة الجغرافية الإسلامية (Bédoucha, 2001a) قوية بشكل خاص بين الرعاة.

[11] نحن نشير هنا إلى النقاش الأنثروبولوجي الذي دام عشرين عاما.

(1991 ; Bonte, Conte, Dresch, 2001 ; Bonte, Ben Hounet, 2009)

وتبنى فكرة "القبيلة" من نقد بنائه واستخدامه في العصر الاستعماري لتوضيح علاقته كأداة لتحليل جزء كبير من مجتمعات المنطقة الإسلامية. ومن خلال اتباع هذا المقاربة المتجددة لـ "النموذج القبلي"، الذي يؤكد سلاسته وديناميته وانفتاحه على سيرورات "الحداثة" التي نستخدم مصطلح قبيلة للإشارة إلى المجموعات التي تمت مناقشتها في هذا المقال.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 2، العدد 4، 2023
Vol: 2 / N°: 4 (2023)
ISSN: 2750-6142

ثانيا: بعض الاتجاهات المستمرة للتدخل لدى الرعاة الرحل

إن أسباب "التصور" الصعبة للأنظمة السوسيوتقنية للمياه الرعوية يتم الجواب عليها من خلال منطق اجتماعي بالنسبة للباحث في العلوم الاجتماعية، ويتغير هذا الإطار عندما نكون إلى جانب الفاعلين الخارجيين والمتدخلين في مجال الموارد المائية الرعوية. حيث يتعلق الأمر بالأحرى في هذه الحالة الثانية بفك رموز بناء خطاب "يخفي" التقنيات تدبير الموارد المائية الرعوية، ويدعو إلى تدخل تحديثي مع هذه المجموعات، إضافة إلى تأسيس علاقة غير متكافئة بين "المعرفة المحلية" و "المعرفة السائدة". نحاول هنا تلخيص سياق الخطاب الذي يبني تهميش الجماعات الرعوية المشتركة بين الدول الاستعمارية أو ما بعد الاستعمارية ومنظمات التنمية[12]، مما سيقودنا إلى فهم استراتيجيات الرغبة في السيطرة السياسية والتبعية الاقتصادية التي شكلت أساس دعم التدخلات المرتبطة بتقنيات تدبير الموارد المائية لدى الرعاة.

1.2 اللاعقلانية الإيكولوجية والنزعة الاجتماعية المحافظة: ضرورة بناء خطاب الاستقرار

قبل تحليل الحالات الملموسة لهذه التقنيات والمعارف وعلاقات السلطة المرتبطة بالماء، فمن الضروري تحديد سياق العمل والتاريخ. وللقيام بذلك يجب التذكير بالخطاب السائد الذي بُني خلال الحقبة الاستعمارية حول الرحل، على الرغم من الإنكار الذي تم الكشف عنه تدريجيا من خلال سيرورات التغيرات الواقعية المدعومة ابتداء من 1970 و1980؛ عبر تجديد مقاربة المجتمعات الرعوية (Fratkin, Galvin, Roth, 1994)، بالنظر للتأثير الحاسم لهذا البناء الأيديولوجي على التدخلات التي تم تنفيذها مع الرعاة.

وقد اتسمت أيضا هذه الحالات بحضور ركائزها حتى في الحقبة ما بعد الاستعمارية وبتنوع الفاعلين (الدول، المنظمات الدولية، وكالات التنمية، الفاعلين الاقتصاديين) الذين انظموا إليها. إذ تبرز الركيزة الأولى لهذا الخطاب في قرب الراعي من "الطبيعة": بعيدا عن النظرة الرومانسية، مما يعني أن هناك رؤية يقل فيها التأثير (والسيطرة) على الموارد الطبيعية للمجال, في المقابل يتم فرض صورة الندرة التي تلوح في الأفق. وفي هذا السياق وفرت عقائد اللاعقلانية البيئية، وعدم النجاعة الاقتصادية للأنظمة الرعوية الأرضية (الأساسية) لتطوير نظرية "مأساة المشاعات"، التي يصبح فيها الرحل موضوعا أصليا. حيث كان هناك سوء فهم لأشكال التنقل الرعوية (يُنظر إليها على أنها تجول مستمر و "غير منظم") وقدرة الرحل على التكيف مع البيئة الإيكولوجية والاجتماعية والسياسية المتغيرة، هي المكون الذي أكمل هذا "التجنس " مع عواقب وخيمة.

أما الركيزة الثانية تتعلق بالمجال السوسيوثقافي والسياسي، إضافة إلى أن الجماعات الرعوية اتسمت بالوصمات التقليدية والمحافظة السوسيوثقافية - التي من شأنها أن تمنعهم من إحداث التغيير بأنفسهم - وبالطابع المتخلف والعدواني لمنظمتهم السياسية التي يشار إليها سلبا على أنها "قبلية"، أو "فوضى"(Despois, 1942).

[12] نحن نفهم مفهوم "التنمية" على أنه "[...] مختلف السيرورات الاجتماعية التي تحدثها العمليات الاستباقية لتحويل البيئة الاجتماعية، والتي تتم من خلال مؤسسات أو جهات فاعلة خارج هذه البيئة، ولكنها تسعى إلى تعبئة هذه البيئة، وتستند إلى محاولة الكسب غير المشروع للموارد / أو التقنيات و / أو المعرفة " (Olivier de Sardan, 1995, 1995, p. 7).

وشكلت النقاط القوية لهذا الخطاب حول السكان الرعويين أساس الخطاب حول الحاجة إلى استقرارهم، وهي فكرة مهيمنة للسياسات الاستعمارية - مع مراعاة ما يقتضيه اختلاف الحال mutatis mutandis- التي تم تناولها باستمرارية مدهشة من قبل الفاعلين الحكوميين، و وكلاء التنمية منذ بداية مرحلة ما بعد الاستعمار(Bocco,1990).

2.2 التدجين السياسي والإدماج الاقتصادي: أعمدة نظم تدبير الموارد المائية الرعوية

إذا ما تم إضفاء الشرعية على أساس هذا الخطاب من حيث "الرسالة الحضارية" و "التحديث" لتحسين ظروف الرعاة، فإن هناك جوانب أخرى تفسر ضرورات الاستقرار للرحل الذين تم تحديد خطوطهم العريضة في المرحلة الاستعمارية. كما أن السيطرة السياسية لهؤلاء السكان الذين كان من الصعب ضبطهم، وغالبا ما يُحسبون ضمن آخر المقاتلين المسلحين للمستعمرين، كانت دافعا رئيسيا أوليا، تعززه متطلبات التثبيت الإقليمي للإدارة.

ارتبط هذا الهدف الأول للتثبيت الإقليمي بالهدف الثاني الذي دعا إلى نشر أشكال الملكية الخاصة لدى الرعاة، وكذلك دمج نظامهم الإنتاجي في المنطق الرأسمالي الذي فرض نفسه مع الاستعمار. إذأن إضفاء الشرعية على الاستقرار كخيار وحيد بالنسبة للمجتمعات الرعوية، لم يتم التشكيك بهذين الهدفين خلال مرحلة ما بعد الاستعمار. ومنذ ذلك الحين ارتبطت معركة الاستقرار من وجهة النظر السياسية بمكافحة "القبلية"، والوصم الذي طال الرحل باعتبارهم عقبة أساسية أمام بناء الأمة (Bédoucha,2001b). بينما من وجهة النظر الاقتصادية، دعمت الدول المستقلة جميعها – بدون تفريق مهم بين الدول ذات التوجه الرأسمالي أو تلك المستوحاة من الاشتراكية - السياسات التي أخضعت الإنتاج الرعوي للإنتاج الزراعي (غالبا ما تكون مكثفة)، ودعت في أفضل الأحوال إلى إعادة التوجه التجاري لتربية المواشي.

يفسر هذا التوجه التهميش والإفقار اللذين أصبحا خاصية الجماعات الرعوية في خمسينيات القرن الماضي، كما تم تجاهل الرعاة تماما أو إدراجهم كجانب ثانوي من السياسات الاقتصادية العامة؛ حيث تم التعامل معهم على أنهم "مشكلة" تفرض التدخل ويجب حلها معهم، واتخذت شكل "تنمية الثروة الحيوانية أكثر من التنمية الرعوية"(Mohamed Salih, 1990). في هذا السياق ومن خلال الإصرار على الخيارات الأيديولوجية، يجب أن ندرك تصور ومعالجة النظم السوسيوتقنية المتعلقة بالماء لدى الرعاة، والاتجاه نحو "الاقتراب أكثر من الطبيعة "للأزمات البيئية وبناء سرد حول "ندرة" الماء بهدف إضفاء الشرعية على مكونات نظم تدبير الموارد المائية الرعوية الكبيرة (Mehta, 2001). علاوة على مركزية تدبير الماء من خلال "الأنظمة المائية" الجديدة، والتي يتم تقديمها على أنها "رسالة حضارية" تقنية مجردة من الآثار السياسية (Bernal,1997)، والتي كانت مزعجة بشكل خاص للساكنة الرعوية. وبسبب أحكام القيمة المرتبطة بإخضاع الرعاة الرحل بشكل قوي لعوامل البيئة الطبيعية، فضلا عن عدم عقلانيتهم البيئية وعدم كفائتهم الإنتاجية، فقد تم بناء خطاب بشأن نقص معداتهم التقنية، مما يخفي الطابع المعقد للأشكال المحلية لتدبير الماء، وهي بالتالي أقل وضوحا من الناحية المادية.

إن تاريخ سياسات تدبير الموارد المائية الرعوية منذ انطلاقها في الحقبة الاستعمارية إلى مظاهرها الأكثر حداثة، هو أحد التدخلات التي تنتهي بالفشل (Thébaud, 1990 ; Baroin, 2003). وبذلك يجب البحث عن جذور الفشل، سواء في وهم التكافؤ بين الزيادة الكمية في الموارد (التدفق و عدد مصادر المياه)، وتحسين فرص الوصول إلى الماء *بالمعنى الدقيق للكلمة*؛

اعتقادا منهم بأن تثبيت مصادر الماء يمكن أن يؤدي تلقائيا إلى الاستقرار (يُنظر إليه على أنه ناقل للاستقرار والإنتاجية والحضارة).

بالإضافة إلى ذلك فإن الجمع بين فرضية اللاعقلانية الإيكولوجية للرحل (أي عدم قدرتهم على استخدام موارد مجالهم الترابي "بشكل جيد") مع عدم فهم الأنظمة الرعوية في جوانبها الاجتماعية الأوسع، جعل تأثير هذه التدخلات سلبيا بشكل خاص. وهكذا فإن إخفاء الأنظمة السوسيوتقنية الرعوية قد جعل تقنيات تدبير الموارد المائية الرعوية مكونا رئيسيا من هذه الإجراءات المعقدة لتنميتها، مما أدى إلى زيادة هشاشة هذه المجموعات. ومنه تراكم النقاد على "أخطاء" المشاريع المنجزة (Prior, 1994, p. 150) من قبيل: زيادة النزاعات بسبب عدم مراعاة العلاقات السياسية المحلية، وعدم مسؤولية الرعاة على مصادر الماء القائمة بسبب تجاهل القوانين التي تنظم الملكية والوصول إلى تنفيذها. مما يخلق توزيعا غير متساو يسهل الاستغلال المفرط لتحقيق الربح الفردي. ومع ذلك لا يبدو أنها زعزعت محاور تحديث تدخلات تدبير الموارد المائية مع هذه المجموعات.

ثالثا: تأملات من إثنوغرافيات الرعاة

لا ننوي هنا إثراء مجموعة من الانتقادات التي تغذيها بالفعل "النتائج السيئة" للتدخلات في سياسات تدبير الموارد المائية الرعوية، ولكن بالأحرى ننوي تحديد المساهمة المحتملة للإثنوغرافيا الرعوية لدينا في هذه التأملات، دون التظاهر بأي تعميم. تسلط مسارات الرحلة[13] في السودان والمغرب على حالتين من اللقاءات المتناقضة، إذ يلتقي جهل المتدخلين في هذا السياق بالمعرفة وممارسات "السكان المحليين"، ورؤيتهم المبسطة لأنماط استخدام الماء؛ علاوة على مع فرض نموذج حديث وتقني للتحكم في الماء. وقد أسفرت النتائج في تنوعها عن عدم مراعاة النظم المعقدة والمتعددة المستويات، للحصول على الماء لدى الرعاة؛ علاوة على استحالة "تخيل" دور التقنيات والمعرفة المتعلقة بالماء عندما يتم تجاهل مكونها الاجتماعي والسياسي.

1.3 مسار رحلة المياه الرعوية الأولى: الأحمدية في وسط السودان

تشكل الأحمدة من بين تلك المجموعات وسط السودان الذين بنوا أسلوب حياتهم الرعوي في سهل البطانة، خاصة الناطقين باللغة العربية، الذي يقع بين ثلاثة أنهار (النيل الأزرق، النيل، عطبرة). وكانت هذه المنطقة تاريخيا مكانا مميزا لمختلف قبائل الرحل، التي تجذبها المراعي في موسم الأمطار (الخريف)؛ باستثناء المواقع النادرة التي توجد فيها آبار معمرة ومجهزة من طرف السكان المحليين، وهم غالبا مجموعات دينية من أصل رعوي. كما أن الجزء الأكبر من مساحة البطانة ليست صالحة للسكن بشكل دائم لأسباب هيدروجيولوجية (Shepherd, 1984). بالإضافة إلى ذلك وضعت هذه المجموعات الرعوية نماذج للتنقل بعد دورة "ثنائي القطب" التي سمحت بنقل واستغلال موارد البطانة في موسم الأمطار، والانسحاب في موسم الجفاف بالقرب من الأنهار الدائمة.

[13] من خلال مصطلح "مسار itinéraire " أود هنا أن أؤكد على بعد غير متزامن على مستويين: فمن ناحية، يتعلق الأمر باتباع أثار مسار التطور التاريخي لأساليب استخدام الأشغال الهيدروليكية التي وضعتها هاتان المجموعتان الرعويتان بين الحقبة الاستعمارية واليوم. ومن ناحية أخرى، هو مسار رحلة إثنوغرافية حيث يتمكن الأنثروبولوجي أثناء اشتغاله في الميدان من فك رموز هذه الممارسات الاجتماعية القوية في استخدام الموارد الطبيعية.

ISSN: 2750-6142
المجلد 2، العدد 4، 2023
Vol: 2 / N°: 4 (2023)
المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

ويتنقل الأحمدة مع قطعانهم خلال موسم الخريف باتجاه الشرق نحو البطانة، مستخدمين مياه الأمطار من البرك أو أحواض التخزين (*الحفير*) التي يتم تجهيزها موسميا، والتي لم يضعوا عليها أي حق في الملكية. ففي بعض الأحيان كانوا يلجؤون إلى بعض الآبار المعمرة للحصول على الماء، بما يتوافق مع الحقوق العرفية لسكان هذه المناطق. بينما يعودون نحو الغرب بعد موسم الجفاف، حيث يقومون بنصب مخيمات في مناطق قريبة من القرى الزراعية على نهر النيل. وخلال هذه الفترة كان بإمكانهم حفر الآبار أو بناء *الحفير*، والتفاوض مع المستقرين للوصول إلى مياه النيل، في منطقة مملوكة جماعيا بشكل حصري من طرف المجموعة القبلية. على الرغم من ذلك فإن تقنيات تجهيز وبناء *الحفائر*، أو حفر الآبار الضحلة كانت بسيطة إلى حد ما[14]، حيث يتطلب الحصول على الماء معرفة معقدة مرتبطة بالتمكن من التنظيم الاجتماعي والسياسي لمجموعته، وبالمجموعات القبلية الأخرى. هذه المعرفة بالوسط الطبيعي بتغيراته المجالية والموسمية لمعرفة مكان العثور على الماء والكلأ في فترة معينة، تسير جنبا إلى جنب مع المعرفة بقدرات القبائل الأخرى على التنقل وعلاقاتها السياسية المتغيرة.

وعملت قبيلة الشكرية في البطانة بفضل دورها القيادي كعنصر من عناصر الوساطة والتفاوض بين مختلف القبائل المتقاربة في المنطقة خلال موسم الأمطار (Sorbo 1985, p. 159)، حيث يتم تحديد أنماط وأماكن استغلال الموارد الموسمية باستمرار، وكذا حل النزاعات التي قد تتمخض عنها؛ عبر شبكة من العلاقات القبلية، وبفضل اجتماع رؤساء هذه القبائل (شيخ وعمدة). وأدى وجود الجماعات الدينية[15]في مواقع الآبار الدائمة إلى الحفاظ على روابط الانتماء مع مختلف القبائل ومقدساتها في الصحراء، بينما في موسم الجفاف وفي الأماكن ذات الأولوية في الوصول إلى الموارد، حافظت كل مجموعة على رأسمال مهم من العلاقات الاجتماعية والسياسية مع قبيلتها وأنسابها، لتوحيد هذا "المجتمع الأخلاقي" (Lancaster, Lancaster, 1999, p. 458). وهو أمر أساسي جدا للمطالبة بالحقوق الجماعية في الأرض والماء، وبناء هياكل تدبير الموارد المائية "القبلية" والدفاع عنها والحفاظ عليها. كما أنه في نفس الفترة نجد تحالفات "خارج القبلية" مع القرويين المستقرين أيضا، كاستراتيجية مهمة لتعزيز الوصول العشوائي إلى مياه النيل[16].

وأضحت المرونة النوعية للتشكيلات القبلية وإعادة التحديد المستمر لحدود الأراضي الرعوية، مقرونة في حالتنا بالطبيعة الحديثة لإعادة تشكيل الأحمدة، باعتبارها القبيلة الوحدوية في المنطقة (Casciarri, 2011)، والتي جعلت هذا

[14] إن قرب نهر النيل يسمح بالعثور على الماء في الأعماق الضحلة في منطقة المخيمات في موسم الجفاف، مما يمكن الساكنة من بناء الآبار هناك باستخدام عدد قليل من الأدوات والمواد في وقت قصير وباليد العاملة العائلية. هذا ليس هو الحال مع الآبار في المنطقة الصحراوية حيث أن طبقات المياه الجوفية أكثر عمقا.

[15] هذه المجموعات وأشهرها "الحسيناب" في موقع واد حسنة، وفي الدليجاب في موقع أبو دليج، تشكلان الفروع المتحدرة من الأنساب الصوفية المستقرة في المنطقة: وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالرعوية. وقد تمتعوا دائما بسلطة الجماعة المقدسة Ordre du Sacré، ولأنهم متدينون، فإنهم يلعبون دور "رجال السلام" المكمل للدور السياسي الأكثر ملاءمة للوساطة الذي تستثمر فيه ساكنة شكريه. لمزيد من التفاصيل حول الفئات الاجتماعية في البطانة، راجع الدراسة(Sorbo 1985) .

[16] من المثير للاهتمام في هذا الصدد أ ن نلاحظ أن العديد من الزيجات الثانوية (الأولى لصالح الارتباط مع FBD ، أو ابنة شقيق الأب، أو قريب آخر من الأقارب) يتم تأسيسها مع نساء الجماعات الزراعية في النيل.

التمكن من العلاقات داخل الإقليم- والعلاقات خارج القبيلة من المكونات الأساسية لنظام تدبير الموارد المائية في المناطق الرعوية.

أظهرت مرونة المركب السوسيوتقني الذي أنشأه الأحمديون للوصول إلى الموارد المائية في البطانة، قدرته على التكيف بشكل جيد، قبل موجات "الأزمة البيئية" والإستقرار (في 1970 و1984)، بما يتماشى مع تأثير الاستعمار البريطاني على الأساليب المحلية لاستغلال الموارد. ولكن على عكس المناطق الأخرى من البلاد حيث أدى بناء السدود والزراعة المكثفة إلى عرقلة وصول الرحل والسكان المستقرين إلى الماء (Bernal, 1997)، ولا يتعلق الأمر هنا بالاستغلال "التقليدي" للموارد المائية الذي يتدخل فيه المستعمرون في هذه المنطقة؛ لأن البريطانيون في الواقع كانوا على دراية بالتهديد المحتمل لجماعات الرحل القريبة نسبيا من العاصمة. إن الاعتراف ضمنيا بفعالية النظام المحلي للتنظيم بين القبائل للوصول إلى مياه ومراعي البطانة، يتجلى في قيامهم بإضفاء الطابع المؤسسي عليه من خلال "إدارة السكان الأصليين" من ناحية، ومن ناحية أخرى أدى التوسع في الزراعة التجارية المسقية في الشريط القريب من النيل إلى تحول كبير في أساليب الوصول إلى مياه الأحمدة.

اضطرت قبيلة الأحمدة في إطار استراتيجيتها الظرفية المتمثلة في تمديد فترة الإقامة في مخيمات موسم الجفاف، إلى الحد من تكرار المراعي في البطانة بسبب الأزمة البيئية (التي بلغت ذروتها في جفاف 1950-1949، حيث توجد محدودية منسوب المياه بسبب توسع المزارع التجارية. ونتيجة لذلك قاموا بتطوير وتجهيز مصادر الماء و*الحفير* والآبار العميقة في منطقة وسيطة بين البطانة (إلى الشرق)، ومنطقة موسم الجفاف (إلى الغرب بالقرب من النيل). هذا الشكل الأصلي من "التثبيت" في وسط الصحراء سمح لهم بالحفاظ على الرعي البدوي كمصدر رئيسي لقوتهم اليومي، والهروب من الاستقرار الهش في ضواحي المدن، كما هو الحال بالنسبة للمجموعات الأخرى.

وفي هذا السياق كان حفر بئر الدالاجا (الصورة 1) في أوائل سنة 1950، عملا تقنيا وسياسيا لتوحيد المجموعة القبلية وبنائها في الإقليم (Casciarri, 2011) على عمق يزيد عن سبعين متراً، وتطلب هذا البئر الاعتماد على "متخصصين" - من سلالة نفس المجموعة القبلية - ومساعدة جميع سلالات قبيلة الأحمدة الذين اشتغلوا هناك لمدة أحد عشر شهرا. كما سمح الحصول على التسجيل الرسمي لدى الإدارة الاستعمارية للأحمدة، وهي مجموعة قبلية في طور إعادة التشكل والوصول مؤخرا، بتوطيد حقوقهم الجماعية والحصرية على الأراضي في مواجهة نزاعات الرعاة الآخرين. علاوة على ذلك فإن وضع نظام تقسيم مهام الصيانة الدورية وتنظيف الأنابيب والأحواض الأرضية، وتقاسم حقوق الإمداد والدفاع في مواجهة "الأجانب"؛ جعل هذا البئر ركيزة من ركائز القاعدة السياسية الإقليمية للجماعة، بالإضافة إلى طابعه كعمل مادي أساسي لقوة تحمل مياهه. وتضاعفت في نفس الوقت خزانات مياه الأمطار وأصبح تجهيزها أكثر تعقيدا، مما سمح بالترابط الاجتماعي والهيدروليكي للأراضي، حيث تستخدم كل مجموعة قرابية صغيرة *حفيرها* في موسم الأمطار، وتتقارب مع الآخرين في موسم الجفاف حول البئر" القبلي".

إن هذا النظام في الحقيقة ظل ساريا حتى اليوم للوصول إلى موارد المنطقة (والتي هي في حد ذاتها إعادة التنظيم مقارنة بالاستخدامات "التقليدية" وما قبل الاستعمار للأحمدة)، باعتباره أحد مؤشرات القدرة على تكييف المعرفة السوسيوتقنية والسياسية لماء الجماعة في الوقت ذاته، حول المياه والتأثير الضعيف نسبيا للمستعمرين من حيث المكونات المائية

ISSN: 2750-6142
المجلد 2، العدد 4، 2023
Vol: 2 / N°: 4 (2023)
المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

الرعوية[17]. ومع ذلك فإن الأحمدية عرفت صعود تدخل الدولة خلال نهاية الحقبة الاستعمارية الذي يهدف إلى تحديث *الأحافير* في المنطقة (Robertson, 1950, p. 16)، الشيء الذي أدى إلى حفر بعض الأبار التي غالبا ما تركها المستفيدون. ويعزى هذا التخلي إلى عدم مراعاة الملكية والتدبير السياسي للماء من طرف السكان المحليين، أي أن "العقلانية الاجتماعية" ضرورية لشبكة خزانات مياه الأمطار في علاقتها مع الأبار الدائمة، لكنها «غير مرئية " في نظر المخطط الاستعماري[18].

الصورة1 :سحب الماء من بئر الدلاجة

المصدر: Calias Photo

أصبحت المواجهة في وقت لاحق بين المعرفة والممارسات على الماء أكثر تعارضا، وناقلا حقيقيا للاضطرابات بين الأحمدة خلال المرحلة التي تتزامن مع التحولات الكبرى والسريعة للسودان المدرج في منطق الرأسمالية العالمية (Casciarri, 2011). فعلى مدار عقد من الزمن حدثت تغييرات كبيرة في منطقة الأحمدة، مما قوض حقوقهم في الوصول إلى الأرض والماء. وعليه فإن مصادرة أراضي الرعي لإقامة المصفاة الثانية للدولة سنة2001، وإنشاء سد احتياطي على الوادي الموسمي الرئيسي "خور

[17] في الواقع، إذا كان التأثير السياسي لاعتراف البريطانيين ببئر الدالاجا أساسيا في الإطار الجهوي لتأكيد حقوق الأراضي للمجموعات المختلفة، فإن الأمر لا يتعلق بتدخل "سياسات نظم تدبير الموارد المائية الرعوية" بشكل صارم.

[18] على الرغم من التذكير في النص البرمجي بضرورة لجوء التقني إلى "استجواب ذكي للسكان المحليين (أو الموسميين)"، الذي يُنظر إليه ببساطة على أنه "معرفة محلية" بإيقاعات وأماكن هطول الأمطار. فإن هذا اللجوء يظل منفصلا عن مجموع "المعرفة المحلية" لشبكة العلاقات الاجتماعية السياسية، من أنظمة حقوق الوصول والاستخدام.

الخنجر" في المنطقة سنة 2003[19]. علاوة على بناء طريق معبدة في وسط الصحراء ما بين سنتي2006 و2009، وانتشار المقاولات الخاصة التي تجمع المواد لصناعة البناء؛ كلها عوامل ساهمت في نزع الملكية من طرف الدولة أو المستثمرين من القطاع الخاص، مسترشدين بذلك على حد سواء بالجهل المتساوي لمتطلبات المجتمعات الرعوية، وبإعطاء الأولوية لمنطق الربح.

في هذا الإطار يصطدم الأحمدة بتجزئة نظامهم الاجتماعي المائي (Casciarri, 2011)، مما يترجم فقدان السيطرة نسبيا على موارد المنطقة، وتباين خيارات الوصول إلى الماء، والتي تتراوح بين الموارد الفردية والاعتماد الخاص للموارد المشتركة من جانب النخب القبلية (Casciarri, 2009b). وضمن هذه السيرورة المتمثلة في تزايد التقسيم الطبقي الاجتماعي والاقتصادي، وإضعاف الروح القبلية للتضامن والتعاون، تنهار الكفاءة والمرونة المعقدة للأشكال المحلية في تدبير الماء. كما أن خطاب تقني شركة الخرطوم العامة للماء والهيئة الفيدرالية المسؤولة عن سياسات تدبير الماء، يدل على أهمية هذا الصراع والتضارب. وخلال مرحلة التخطيط لتوسيع أنظمة إمدادات المياه "الحديثة" إلى المناطق القروية، سيتم الاحتجاج عن إغلاق "الآبار التقليدية" القبلية في المستقبل. وبمحو الأهمية التاريخية والمادية لهذه الأعمال التي قُدمت على أنها بقايا قديمة لساكنة الهامش، قطعت الدولة وعدا باستبدالها بآبار حديثة. هذه الأخيرة متشبعة بالمنطق الليبرالي وفرض «معرفة متخصصة" باعتبارها المعرفة الوحيدة الممكنة، وتسعى في نفس الوقت إلى تحقيق الهدف المزدوج المتمثل في التدجين السياسي لهذه الجماعات، والربح الاقتصادي من خلال فرض رسوم للحصول على الماء (قريبا، Casciarri).

إن حقيقة جلب الماء "الحديث" الذي يتجاهل الشبكة المعقدة من التحالفات بين الأنساب والقبائل، وتباهي الدولة بتمكين المستخدم من خلال وضع حد للمجانية - لا تفشل في استخدامها كخطاب سياسي لتعزيز الإجماع حول نظام ضعيف بسبب الصراعات الأهلية والأزمة الاقتصادية. وبهذا فإن فرض تخصص التنمية من قبل "الأنظمة المائية" للدولة، التي كان لها مكانة محدودة لدى الأحمدة خلال المرحلة الاستعمارية، يتم تأكيده اليوم بقوة؛ مما يرسخ فكرة نفي التعقيد الاجتماعي للأنظمة الرعوية، والمعرفة المتجذرة في تقنياتهم لاستخدام المياه المحلية.

2.3 مسار رحلة المياه الرعوية الثانية: آيت أونزار جنوب شرق المغرب

يعتبر ساكنة أيت أونزار أنفسهم *تقبيلت* (قبيلة) تتكون من أربعة أنساب أبوية[20]، لكونهم جزء من الساكنة الناطقة باللغة الأمازيغية في أيت عطا بجنوب المغرب، في إطار علاقة يتم تصورها قبل كل شيء ومن منظور سياسي أسلوب الحياة المشترك.

[19] لا يزال الهدف من بناء السد غامضا بالنسبة للسكان الذين حاولوا عبثا معارضته، ويلاحظون الآن الآثار السلبية (نزوح المخيمات، وتجفيف منسوب المياه الجوفية في اتجاه مصب النهر، وتكاثر الأنواع النباتية والحيوانية الضارة). فإن السبب الوحيد حسب التحقيق هو أن السد أقيم لحماية خطوط الأنابيب المؤدية إلى المصفاة من فيضانات الوادي، إضافة إلى عدم وجود استخدامات كهرومائية أو مسقية أو الماء الصالح للشرب.

[20] هذا الموضوع مهم جدا في ملاحظة أن اسم المجموعة القبلية يعني حرفياً "الناس / أولئك الذين يعيشون في المطر" باللغة البربرية المحلية (تمازيغت). على الرغم من أن بعض القصص التأسيسية (Casciarri, 2006) تحاول إعطاء قراءة صحيحة لأصل هذا المصطلح – فإن كلمة أونزاري تظهر على هذا النحو كإسم الجد الأول؛ مع احترام أسس الأنثروبولوجيا والنسب - أكد العديد من ساكنة أيت أونزار أن هذا الاسم يأتي إليهم من التنقل القوي لرحلهم، مما يدفعهم إلى التحرك من خلال متابعة هطول الأمطار العشوائية.

وعلى عكس معظم قبائل أيت عطا اتبع راكبي الجمال مسارات من التنقل، التي لم توفر للترحيل الرعوي الذي كان من شأنه إتاحة الوصول إلى مراعي الأطلس الكبير في موسم الجفاف؛ حيث دفعهم أسلوب الترحال "الأفقي"[21] التي تمليه الخصائص العشوائية للأمطار في البيئة الصحراوية إلى التحرك فوق مناطق واسعة، يتوفر فيها الماء بعد هطول الأمطار للرجال والقطعان. مما يمكنهم من الوصول إلى الماء على عمق بضعة أمتار في البرك غير المطورة، أو في الآبار بالقرب من الوديان الموسمية (الصورة 2). وإذا كانت سهولة الوصول إلى هذه المياه الجوفية قلصت وزن عملية الحفر (من حيث الأدوات والوقت والتنظيم ومجموعة العمل)، والسماح بالتخلي عن هذه الآبار التي يعاد حفرها من سنة لأخرى. فإن الاختلافات الكبيرة في مواقع المياه أجبرت المجموعة على إجراء مفاوضات مستمرة مع الرعاة الآخرين، أي البربر والعرب في المنطقة.

وبالتالي فإن هذه الآبار الرعوية لم تكن موضوع ملكية حصرية تعود للأفراد أو الجماعات القبلية الذين استخدموها موسميا، فضلا عن أراضي الرعي. على النقيض من ذلك حصل الفلاحون في آيت أونزار (الناطقين بالعربية)، وبالضبط في قرية "تراف" على جزء من الأرض وحقوق المياه لنظام السقي الخاص بواحات النخيل، مقابل الحماية العسكرية التي نصت عليها اتفاقية القرن التاسع عشر. ومنذ ذلك الحين أصبحت تراف المكان الذي امتلكت فيه ساكنة أيت أونزار بالتعاون مع فلاحي درعة المحليين، أراض خصبة صالحة للزراعة وحصص الماء بشكل فردي، وتقاسمت بشكل جماعي الموارد المائية المحلية الصالحة للشرب. مستفيدة بذلك من الإنتاج الزراعي (خاصة التمور) المكمل للنظام الرعوي، ومكان مؤقت للاستقرار في حالة حدوث الأزمة.

إن "البساطة" والخصائص غير الدائمة للمنشآت المائية بمناطق الرعي في الصحراء تعني إتقانا قويا للمعرفة المتعلقة بالموارد البيئية شديدة التغير، وفي الوقت نفسه كان من المقرر الجمع بينهما، مع الحفاظ على العلاقات الاجتماعية والسياسية. وذلك من خلال المفاوضات المكثفة مع المجموعات الصحراوية الأخرى، وإدراجها في "تعقد complexité" نظام السقي الواحي المتجذر في العلاقات الاجتماعية مع السكان المستقرين.

[21] من خلال هذا المصطلح الذي استخدمه بعض الباحثين في وصف الأشكال المختلفة للرعي البدوي، فإننا نشير إلى الحركة التي تمتد على مساحة كبيرة (بسبب تقلب هطول الأمطار في البيئة الصحراوية) ولا تنطوي على حركة موسمية "عمودية" للوصول إلى المراعي المرتفعة.

ISSN: 2750-6142
المجلد 2، العدد 4، 2023
Vol: 2 / N°: 4 (2023)
المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

الصورة 2: بئر بواد ميرد (2003)

أدى وصول الاستعمار إلى حدوث اضطرابات كبيرة في أساليب تدبير الموارد المائية المحلية، حيث لم يتردد الفرنسيون في جعل الجماعات الرعوية أهدافا لتدخلهم بتسميم الينابيع أو قصف القطعان بالماء، بهدف استسلام هذه الجماعات الرعوية التي تأخر "تهدئتها" جدا سنة 1932، وعيا منهم لمركزية الآبار في اقتصاد الرحل. ولكن بعد التهدئة ظهر تأثير المستعمر كحامل لنموذج جديد لتدبير الماء، في إطار بناء أيديولوجية "المهمة الحضارية" للمستوطنين من خلال التحكم بالماء في الصحراء، إلى جانب وصم جماعات الرحل بأنهم "مدراء سيئون" للموارد الطبيعية، وناقلين لعدم الاستقرار السياسي. فضلا عن شروع الإدارة الفرنسية في إعادة تحديد صارم لمناطق الرعي و "خصخصة مجتمعية (قبلية)" لمصادر الماء. هذه "القبلية" لآبار الرحل عبر التخصيص الحصري للآبار والحدود الإقليمية لسلالات وقبائل معينة، حرمت آيت أونزار من المرونة المرتبطة بمعايير الوصول لاستعمالات الماء. كما لامست أيضا العنصر المرتبط بمرونة الشبكة المتحركة للعلاقات الإنتاجية والسياسية بين القبائل، والذي شكل تاريخيا أصل تدبير بيئة ذات موارد نادرة ومتغيرة (Casciarri, 2006)، ومع أعراق قبلية متنوعة.

وعلى الرغم من إهمال الدولة المغربية مسألة الرحل في مرحلة ما بعد الاستعمار، حيث لم ينظر إليها على أنها "مشكلة" وأيديولوجية للمملكة تؤكد كلا من اختفاء الرحل وعدم وجود القبائل (Shoup, 2006)، حيث أظهر أيت أونزار القدرة على

التكيف مع الأزمات البيئية، والتهميش العام للمنطقة (Casciarri, 2008a). وذلك من خلال تحدي الأحكام المسبقة للدولة ومخططيها بشأن عدم التوافق بين الرحل والممارسات الفلاحية، أو حول جعل كل شيء تلقائي بين التثبيت الترابي والتخلي عن الماشية المتنقلة. علاوة على ذلك فقد تمكنوا من الاستفادة من التكامل الاجتماعي والإنتاجي الذي تم تأسيسه مع ساكنة درعة في واحة النخيل، للاحتفاظ بالممارسات الرعوية التي تحتل مكانة مهمة في نظامهم. فمن جهة كان تعزيز وجودالرحل في تراف فرصة لتنويع أشكال الاقتصاد متعدد الموارد من خلال زيادة الإنتاج الزراعي، ومن جهة أخرى تقوية مزايا الإدارة السياسية الجزئية من خلال التجمع القبلي المزدوج (Casciarri, 2008b). وقد واصلت هذه المؤسسة الموروثة عن الميثاق القديم لحماية مزارعي درعة من قبل آيت أونزار، تدبير إمكانية الحصول على الموارد المائية المحلية بصورة مستقلة نسبيا، ضمن إطار ارتباطها بالمجموعة المتعددة الأوجه من العلاقات الاجتماعية من المجموعات الإثنية والعرقية والإنتاجية والقانونية.

إن الحفاظ على الأسلوب "العشائري" لتوزيع حصص الماء الذي يوصم بأنه غير منطقي من قبل المتدخلين والفاعلين في الدولة، والتعديلات التقنية المحلية التي أدخلت على حصص السقي حرصا على الإنصاف، للتعويض عن الانخفاض في الإمدادات بعد بناء سد ورززات (Casciari, 2008b). هو تأكيد على قدرة آيت أونزار على الاستثمار في توطيد العلاقة مع الفلاحين الدرعيين، الراسخة في الإدارة المشتركة لنظام اجتماعي وتقني لتقاسم الماء. في حين أن معظم قرى الوادي انتهى بها الأمر إلى الخضوع لأوامر تقني الدولة، الذين دفعوا من أجل إعادة تنظيم قطع الأراضي وحصص الماء وفقا للمعايير الطبوغرافية. وتعتبر تيراف واحدة من الحالات النادرة التي يستمر فيها السكان في الزراعة والسقي، باستخدام " نظام تقليدي" تتبع طرقه المائية تلك الخاصة بالتقسيمات العرقية (البربر والعرب) والأنساب.

وتكشف نفس العوامل عن مقاومة الممارسات والمعرفة المحلية في مواجهة "المعرفة والخبرة"، التي يفرضها تدبير مياه الدولة المركزية والحديثة. هذه العقلانية الاجتماعية لاستخدام الموارد المائية التي تم دمجها بقوة في نسيج العلاقات المحلية، والتي انضمت إلى الاقتصاد الأخلاقي لروح التعاون والمشاركة، أنكرت الأحكام المسبقة الناجمة عن التعارض الحتمي لعلاقة الرحل/المستقرين (ركيزة أخرى ورثتها الدولة المغربية من الأيديولوجية الاستعمارية) عندما عارض أيت أونزار ودراوة مشروع الدولة لتركيب صنابير فردية، مع عدادات وفواتير في تراف سنة 2004 (Casciarri, 2008b). هذا الوصف التفصيلي للأحداث المرتبطة بـ "خصخصة" الصنابير في تيراف(Casciarri, 2008b) ، يوضح أنه لا يعني بالضرورة رفض الابتكار التكنولوجي الخارجي في حد ذاته. على الرغم من ذلك فقد تم دمج هذا العنصر الحديث، أي الصنبور فيما بعد من طرف السكان، عبر تركيب صنبور على شكل نافورة (سقاية) جماعية في تراف، حيث تم رفض "صنبور العولمة" في سنة 2004، ليس كعنصر حديث؛ ولكن كناقل لإضفاء الطابع الفردي على العلاقات الاجتماعية وتسليع الموارد المائية.

في المقابل إن تطور أنظمة تدبير المياه السوسيوتقنية للرعاة ضمن هذا الإطار العام ، ليس دائما موحدا، في ظل العلاقة بين الدولة باعتبارها صاحبة الأولوية لخيارات "تحديث الماء"، ومجموعات الرحل كمتلقين للتدخلات التقنية؛ حيث تتشكل وفقا للقيود والتغيرات في بيئة سياسية أكثر منها طبيعية. وهكذا تغير موقف الدولة تجاه أيت أونزار تدريجيا بعد اندلاع الحرب في الصحراء الغربية سنة 1975، الأمر الذي جعل هذه المنطقة "المغرب غير النافع" بحسب التعريف الاستعماري، مكانا للقضايا والرهانات الحاسمة. إن استمرار وجود قاعدة مهمة من الأنشطة الرعوية والتجارية للجماعة في المنطقة الصحراوية،

على الرغم من التعديلات الحدودية التي فرضتها النزاعات في الصحراء الغربية، ومع الجزائر المجاورة، فضلا عن الوجود الكبير لآيت أونزار في القوات المسلحة الملكية بعد حملات التجنيد المكثفة؛ جعل هؤلاء "الرعاة الدائمين"(Regby, 1985, p.198) فاعلا يتعين على الدولة أخذه في الاعتبار من أجل استقرار هذه المنطقة الاستراتيجية والعسكرية. ولهذا السبب يبدو أن تدخلات الدولة لتدبير الموارد المائية الرعوية التي نفذتها في العقود الأخيرة لخدمة الثروة الحيوانية مع أيت أونزار، تبدو وكأنها تتعارض مع النزعة التاريخية لإهمال "عامل الترحال".

إن حفر وصيانة شبكة من الآبار "الحديثة" لمربي الماشية في مناطق الرعي الخاصة بهم (بالقرب من المواقع العسكرية للقوات المسلحة الملكية المغربية في الصحراء)، من خلال العمل الدقيق للتقنيين الذين ينتقلون إلى الميدان مع الرعاة أنفسهم. وبالتالي فهم يستخدمون "معرفتهم" بالأوساط الرعوية، وأيضا معرفتهم بالعلاقات الاجتماعية بين المجموعات القبلية، لاتخاذ قرار بشأن جدوى وموقع الأشغال التي سيتم تنفيذها. إذ يجد أيت أونزار في كثير من الأحيان أنفسهم يقدمون خدمات أفضل لهم – بشكل مجاني - من طرف سكان الواحات، كما لا يترددون في الدخول في لعبة التبادل غير العادية في علاقتهم بالدولة المركزية، للاستفادة من الفرصة التي يتيحها السياق العسكري والسياسي للمنطقة، عبر تثمين معرفتهم التي تمنحهم مكانة تاريخية باعتبارها "معرفة مهيمنة".

خلاصة

أظهر لنا الالتفاف حول قصص المياه المحلية في الأوساط الرعوية عن تشكيلتين محتملتين لثالوث: المعرفة، التقنية، والسلطة؛ ففي السودان لدى الأحمديين وعلى عكس الاتجاه العام، كان ثقل الدولة الاستعمارية خفيف نسبيا من حيث التأثير على تدبير الموارد المائية المحلية. إذ يعترف البريطانيون بأنماط الاستيطان الخاصة بقبائل الرحل في البطانة، مما يمنحهم استقلالا ذاتيا معينا في استخدام الأراضي ومواردها؛ خاصة وأن التوسع في الزراعة الرأسمالية على طول نهر النيل يدفع الأحمدة إلى إجراء تغييرات في ممارساتهم المتعلقة بتدبير الماء من ناحية، ومن ناحية أخرى أصبحت المواجهة بين المعرفة والسلطة حول المياه الرعوية متضاربة في العقود الأخيرة. علاوة على تدمير الأراضي المرتبطة بمنطق مصادرة الموارد من طرف الدولة والقطاع الخاص، يضع الأحمديين في مواجهة إشكالية عدم فهم مؤسسات الدولة لخصوصية الأوساط الرعوية، والتي تصر على فرض مهمتها الحضارية المتمثلة في إغلاق الآبار القديمة للصحراء.

أما لدى أيت أونزار في المغرب فإن سيرورة التطور مختلفة هناك، حيث يعتبر تأثير الاستعمار حاسما بالنسبة للرحل، ولا سيما في عملية التفرد و"القبلية tribalisation" للآبار والمراعي التي كان الوصول إليها قابلا للتفاوض سابقا، للتعويض عن تقلبات وحالة عدم اليقين بالمنطقة الصحراوية. إضافة إلى ذلك، واجه أيت أونزار الأزمات التي رافقت حقبة ما بعد الاستعمار من خلال تقوية علاقاتهم الاجتماعية، ونظم تدبير الموارد المائية مع ساكنة الواحات المستقرين في تراف. وعلى الرغم من الاتجاه العام المتمثل في تهميش (أو إنكار) الدولة المغربية لممارسات الرعوية لدى الرحل، فضلت هذه الأخيرة وضع سياسة ذكية يغلب عليها طابع "الإصغاء" إلى المعرفة الرعوية لحفر الآبار في المراعي الصحراوية، بالنظر إلى الموقع الاستراتيجي للمنطقة منذ حرب الصحراء الغربية.

تسلط هذه الأمثلة الضوء على عنصرين أساسين لتباين مضامين كل عنصر على حدى، فمن جهة غالبا ما يكون تعقيد النظم المائية الرعوية على مستوى المعرفة يتجلى في المستوى البيئي، خصوصا كل ما هو مرتبط بالاجتماعي والسياسي بالنسبة للمجموعات التي تعتبر حركتها الجسدية ومرونة الوحدات الاجتماعية ذات أهمية. ومن جهة أخرى فإن الفاعلين الخارجيين في التنمية، ولا سيما الدولة قد أسسوا تدخلاتهم في مجال نظم تدبير الموارد المائية الرعوية على عقدة أيديولوجية من التجنس وتدني الرعي البدوي. وعلى الرغم من الاتجاهات الشائعة والدائمة التي جعلت النظم الاجتماعية والتقنية لتدبير المياه الرعوية "غير مرئية"، فإن هذه التدخلات تكشف عن قيمتها السياسية للغاية، طالما أنها تستطيع فرض تغييرات وفقاً للمعرفة المهيمنة للخبراء، أو الاصغاء إلى المعرفة المحلية حسب السياق؛ حيث يصبح الرحل موضوعا استراتيجيا. وكما تمت الإشارة إليه، فإن أي مشروع تنموي وأي تغيير لطرق لتدبير المياه المحلية مهما كانت، تقنية وحيادية و "طبيعية"، تدعي أنها تنطوي دائما على مشروع هندسة اجتماعية (Van Aken , 2012, p. 344) . إذ يجب فهم الإجراءات التي يقوم بها مؤيدو "التحديث" لتدبير الماء مع الرعاة من القطاعين العام أو الخاص، رغم الخصائص السياقية والتاريخية باتباع الخيط المشترك لخطاب إخفاء الرعاة ونماذج تقنياتهم للحصول على الماء. وهو الأمر الأكثر تناقضا من أي مكان آخر للتداخل الاجتماعي والسياسي، لأنظمتها الاجتماعية المائية. إضافة إلى ذلك تعتبر الالتقائية بين المعرفة المحلية والخبرة مفتاحا مهما للقراءة والفهم.

الإحالة البيبليوغرافية على المرجع الأصلي الذي تمت ترجمته

Casciarri, B. (2013). Systèmes sociotechniques, savoirs locaux et idéologies de l'intervention. Deux exemples de gestion de l'eau chez les pasteurs du Soudan et du Maroc. *Autrepart*, 65, 169-190. https://doi.org/10.3917/autr.065.0169

قائمة البيبليوغرافيا

- Aubriot, O. (2000), Comment “lire” un système d’irrigation ? Une approche pour l’étude de systèmes irrigués traditionnels illustré de cas pris au Népal, *Document de travail*, n° 8, Université Catholique de Louvain, 21 p.
- Aubriot, O. (2004), *L’Eau, miroir d’une société. Irrigation paysanne au Népal central*, Paris, Éditions du CNRS, 321 p.
- Aubriot, O. (2013), De la matérialité de l’irrigation. Réflexions sur l’approche de recherche utilisée, *Journal des Anthropologues*, *in* Casciarri, B., & Van Aken, M. (dir.), « Anthropologie et eau(x) », vol. 132-133, p. 123-144.
- Baroin, C. (2003). L’hydraulique pastorale, un bienfait pour les éleveurs du Sahel ? *Afrique contemporaine*, vol. 1, n° 205, p. 205-224.
- Bédoucha, G. (1987). *L’Eau, amie du puissant : une communauté oasienne du Sud tunisien*, Paris, Éditions des archives contemporaines, 428 p.

- Bédoucha, G. (2001a). L'irréductible rural. Prégnance du droit coutumier dans l'aire arabe et berbère, *Études rurales*, nº 155-156, p.
- Bédoucha, G. (2001b). L'État face aux razzias de ses anciens nomades dans le Sahara tunisien : sédentarisation et détribalisation, *in* Bonte, P., Conte, E., & Dresch, P.. (dir), *Émirs et présidents. Figures de la parenté et du politique dans le monde arabe*, Paris, Éditions du CNRS, p. 247-271.
- Bernal, V. (1997). Colonial Moral Economy and the Discipline of Development: The Gezira Scheme and Modern' Sudan, *Cultural Anthropology*, vol. 12, nº 4, p. 447-479.
- Bernus, E. (1989). L'eau du désert : usages, techniques et maîtrise de l'espace aux confinsdu Sahara, *Études rurales*, nº 115-116, p. 93-194.
- Bocco, R. (1990). La sédentarisation des pasteurs nomades : les experts internationaux face à la question bédouine dans le Moyen Orient arabe (1950-1970), *Cahiers des sciences Humaines*, vol. 26, nº 1-2, p. 97-117.
- Bonte, P. (1993). Quand le rite devient technique. Sacrifice et abattage rituel dans le monde musulman, *Techniques et culture*, nº 21, p. 79-96.
- Bonte, P., & Ben Hounet, Y. (dir.) (2009). *La Tribu à l'heure de la globalisation, Études rurales*, nº 184, p. 13-32.
- Bonte, P., Conte, E., & Dresch, P. (dir.) (2001). *Émirs et présidents. Figures de la parenté et du politique dans le monde arabe*, Paris, Éditions du CNRS, p. 273-299.
- Bonte, P., Conte, E., Hames, C., & Ould C, Cheikh A.W. (1991), *Al-Ansâb, la quête des origines. Anthropologie historique de la société tribale arabe*, Paris, Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 260 p.
- Casciarri, B. (2001). "La *gabila* est devenue plus grande". Permanences et évolutions du "modèle tribal" chez les pasteurs Ahamda du Soudan arabe, *in* Bonte, P., Conte, E., & Dresch, P. (dir.), *Émirs et présidents. Figures de la parenté et du politique dans le monde arabe*, Paris, Éditions du CNRS, p. 273-299.
- Casciarri, B (2006). Coping with Shrinking Spaces: The Ait Unzar Pastoralists of Southern Morocco, *in*, Chatty, D. (ed.), *Nomadic Societies in the Middle East and North Africa: Entering the 21st Century*, Handbook of Oriental Studies, Leiden, Brill, p. 393-430.
- Casciarri, B. (2008a). Drought and 'Natural' Stress in the Southern Daraa Valley: Varying Perceptions among Nomads and Farmers, *in* Casimir; M.J. (ed.), *Culture and the Changing Environment. Uncertainty, Cognition and Risk Management in Cross-Cultural Perspective*, Oxford, Berghahn, p. 147-174.
- Casciarri, B. (2008b). Du partage au clivage : marchandisation de l'eau et des rapports sociaux dans un village du Maroc présaharien (Tiraf, Vallée du Dra), *in* Bauman E.,

Bazin L., Ould-Ahmed P., Phelinas, P., Selim M., & Sobel, R. (dir.), *Anthropologues et économistes face à la globalisation*, Paris, L'Harmattan, p. 87-127.

- Casciarri, B. (2009a). Between Market Logics and Communal Practices: Pastoral Nomad Groups and Globalization in contemporary Sudan, *Nomadic Peoples*, vol. 13, nº 1, p. 69-91.
- Casciarri, B (2009b). Hommes, troupeaux et capitaux. Le phénomène tribal au Soudan à l'heure de la globalisation, *Études rurales*, nº 184, p. 47-64.
- Casciarri, B. (2011). La desocializacion del agua en las comunidades del Sur en tiempos de globalizacion capitalista: del sureste de Marueccos al Sudan central, *in* Ayeb, H. (dir.), *El agua en el mundo arabe: percepcion global y realidades locales*, Madrid, Casa Arabe, p. 107-139.
- Casciarri, B. (à paraître). Water Local Management Among Pastoral Sudanese Peoples: End of The Commons or 'Silent Resistance' to Commoditization? *in* Casciarri B., Assal, M., & Ireton F. (eds), *Reshaping Livelihoods, Political Conflicts and Identities in Contemporary Sudan.*
- Cribb, R. (1991). *Nomads in Archaeology*, Cambridge, Cambridge University Press, 268p.
- Dahil, G., & Megerssa, G. (1990). The Sources of Life: Boran Conceptions of Wells and Water, *in* PALSSON G. (ed.), *From Water to World-Making*, Uppsala, Nordiska Afrikainstitutet, p. 21-37.
- Despois J. (1942). Régions naturelles et régions humaines en Tunisie, *Annales de géogra- phie*, vol. 51, nº 286, p. 112-128.
- Diallo,Y. (1999). Autour du puits. Paysans, pasteurs et politique de l'eau dans le Gondo-Sorou (Burkina Faso), *in* BOTTE R., BOUTRAIS J., SCHMITZ J. (dir.), *Figures Peules*, Paris, Karthala, p. 373-383.
- Digard J.-P. (1981). *Techniques des nomades baxtyâri d'Iran*, Paris, Éditions de la Maison des Sciences de l'Homme, 273 p.
- Evans-Pritchard E.E. (1940). *The Nuer*, London, Oxford Clarendon Press, 271 p.
- Fratkin, E., Galvin, C.A., & Roth E.A. (eds.) (1994), *African Pastoralist Systems. An Integrated Approach*, Boulder, Co., Lynne Rienner, p. 185-204.
- Hall, I. (2008). Un canal comme support mnémotechnique pour la généalogie ? Hautes terres malgaches, *Techniques et cultures*, vol. 50, nº 1, p. 256-281.
- Lancaster, W., & Lancaster, F. (1999). *People, Land and Water in the Arab Middle East: Envi- ronments and Landscapes in the Bilâd Ash-Shâm*, Amsterdam, Harwood Academic Publis- hers, 458 p.

- Le Cour Grandmaison, C. (1984). L'eau du vendredi. Droits et hiérarchie sociale en Sharqîya (Sultanat d'Oman), *Études rurales*, nº 93-94, p. 7-42.
- Mehta, L. (2001). The Manufacture of Popular Perceptions of Scarcity: Dams and Water-Related Narratives in Gujarat, India, *World Development*, vol. 29, nº 12, p. 2025-2041.
- Mohamed Salih, M. (1990). Government Policy and Options in Pastoral Development in the Sudan, *Nomadic Peoples*, vol. 25-27, p. 65-78.
- Mosse, D. (2003). *The Rule of Water. Statecraft, Ecology and Collective Action in South India*, Oxford, Oxford University Press, 337 p.
- Mosse, D. (2008). Epilogue: The Cultural Politics of Waters. A Comparative Perspective", *Journal of Southern African Studies*, vol. 34, nº 4, p. 939-948.
- Olivier De Sardan J.-P. (1995), *Anthropologie et développement. Essai en socio-anthropologie du changement social*, Paris, Karthala, 221 p.
- Prior, J. (1994). Pastoral Development Planning, *Development Guidelines*, nº 9, Oxford, Oxfam, 150 p.
- Rao, A. (1992). The Constraints of Nature or of Culture? Pastoral Resources and Territorial Behaviour in the Western Himalayas", *in* CASIMIR M.J., RAO A. (eds.), *Mobility and Ter- ritoriality: Social and Spacial Boundaries among Foragers, Fishers, Pastoralists and Peri- patetics*, Oxford, Berg, p. 91-134.
- Riaux, J. (2006), *Règles de l'État – règles de la communauté. Une gouvernance locale de l'eau*, Paris, EHESS, 562 p.
- Rigby, P. (1985), *Persistent pastoralists. Nomadic Societies in Transition*, London, Zed Books, 198 p.
- Robertson, A.C. (1950), *The Hafir. What, Why, Where, How*, Ministry of Agriculture, Agri- cultural Publications Committee, Khartoum, 16 p.
- Schlee, G. (2013), Territorializing Ethnicity: The Imposition of a Model of Statehood on Pas- toralists in Northern Kenya and Southern Ethiopia, *Ethnic and Racial Studies*, vol. 36, nº 5, p. 857-874.
- Shepherd, A.W. (1984). Water Pastoralism and Agricultural Schemes: A Case Study of the Butana, *in* BESHIR M.O. (ed.), *The Nile Valley Countries. Continuities and Change*, Khartoum, Khartoum University Press, vol. 1, p. 72-86.
- Shoup, J. (2006). Are There Still Tribes in Morocco? *in* CHATTY D. (ed.), *Nomadic Societies in the Middle East and North Africa: Entering the 21st Century*, Handbook of Oriental Studies, Leiden, Brill, p. 123-143.
- Sorbo, G. (1985). *Tenants and Nomads in Eastern Sudan*, Uppsala, Scandinavian Institute for African Studies, 159 p.

- Thébaud, B. (1990), Politiques d'hydraulique pastorale et gestion de l'espace au Sahel, *Cahiers des sciences humaines*, vol. 26, nº 1-2, p. 13-31.
- Trawick, P.B. (2003), *The Struggle for Water in Peru. Comedy and Tragedy in the Andean Commons*, Stanford, CA., Stanford University Press, 351 p.
- Van Aken, M. (2012). *La diversità delle acque. Antropologia di un bene molto comune*, Lungavilla, Edizioni Altravista, 344 p.
- Wateau, F. (2002), Partager l'eau. Irrigation et conflits au nord-ouest du Portugal, Paris, Éditions du CNRS, 280 p.